(١٦)

الإنسان
في الله
في وجوده الكوني
وفي وجوده الروحي
وفي وجوده القدسي
وفي وجوده المطلق

حديث الجمعة

١٠ محرم ١٣٨٤ هـ - ٢٢ مايو ١٩٦٤ م

اللهم أدبنا لما يرضيك، وأنطقنا الحكمة والصواب لما يعنيك.. اللهم اجعل منا القرآن والبيان.. اللهم أقمنا في الإنسان والعنوان.. اللهم اجعلنا محلا للإيمان والإحسان.. اللهم اجعل مصدرنا اليقين والعيان.. اللهم يسر لنا في مراقينا السبيل، ولا تحرمنا في مسيرنا لمعانينا الدليل. لا إله إلا أنت في كل طور لحياة، ولا معبود سواك في كل أعلى نلقاك، سبحانك إنا كنا من الظالمين، فلا تردنا عن بابك خائبين.

عباد الله.. إن تقوى الله بالغيب من عزم الأمور.. اتقوا الله كأنكم تنظرون، وأخلصوا النية فيما تعملون وبه تتعاملون، وفيما يصدر عنكم مما به تصنعون أو به تبدعون. ففي معاملة الله باستقامة الضمير، يقوم الإيمان، ويبلغ الإحسان.

إن المعاملة مع الله أمرها يسير من حيث الفقه والإدراك. ولكن الاستقامة عليها من حيث النفس، وما تقبل وما لا تقبل، وما تصلح له، وما يصلح لها، أمرها عسير، ولا يستغنى فيه عن المعين

والدليل. ومن هنا كان عون العقل المكلف الكاسب أمرا لازما بتوجيه دليل خبير، وهو ما فيه الخير الكثير، وبه ما يدفع عن الإنسان الشر المستطير.

النفس.. بغريزتها، أو بعقلها غير الواعي، وهي في هداه تعمل وتسير، باسم عقلها الغريزي به تقوم وله تستجيب، بعيدة عن العقل الخلاق، أو العقل الكاسب، أو العقل الطليق، أو العقل الحر، أو العقل الصَديق، أو العقل المدرك، تدور حول نفسها في حركة هدامة بعيدة عما يصح لها من حركة نفسية بنَّاءة. فالعقل القابل لإدراك ما يُلقى إليه، والقابل للنمو في إدراكه، والنمو في إرادته وقدراته، هو العقل المكلف، المكلف بالنفس، القابلة بدورها للتطور، لا عن طريق الوعي، ولكن عن طريق الانقياد، يقودها العقل الكاسب الواعي، فتنقاد له ما قادها، وهي لا تنقاد له برضاها، ولا بهواها، ولا بمعناها، ولكن يسلس قيادها إذا ما تغلب عليها، وسادها، فرضيت مسودته، وقبلت ربوبيته.

وليس في النفس قوة ولا قدرة بالنسبة للعقل إذا ما استيقظ، ولكنها بالنسبة له تمثل الضعف، الضعف المستكبر، والجهل المتعالم، والعدم المتواجد، والخيال المخايل بوهم الحقيقة. فإذا ما أدرك العقل الكاسب أمر نفسه وقد استيقظ من منامه، وأدرك أمر النفس عموما، إذا ما علم عن مقامه فتحرر من سجن المادة لمعنى ذاته، ومن سجن الغريزة لمعنى صفاته، ثم ارتد إلى بيته وعالمه وأرضه، فاقتحم عليها دارها، وتغلب على صفاتها، مستخذية أمامه، ضعيفة أمام قدراته وإمكانياته، قادها، وطورها، وأصلح أمرها، فصلح باله، وحسن حاله ومآله.

إن النفس اللطيفة.. هي التي نعني، وهي الجسد الأثيري القابل للتطور، المقابل خلية خلية لهذا الجسد الترابي، المنشق عن الأرض. أما هذا الجسد الترابي، أو النفس الميتة فلا سلطان ولا دوام له، إذ ينتهي أمره ووجوده بانتهاء وظيفته كمشيمة بمولد في الحياة. فهو مجرد وعاء أو ماعون، أو دثار، أو قالب لتشكيل أول صورة معنونة للنفس الأثيرية، تظهر بها في السماء الدنيا، من أول عوالم الروح، بعالمها البشري على هذه الأرض...

حتى تتراءى وتتعامل وجوه الروح الكلي للبشرية في أحديتها، بما ييسر للأعلى باطنا لها هي ظاهر له، أن يصطفي لنفسه من بينها جديدا لعوالمه الأرقى، في صفاتها، وإمكانياتها، وحرياتها، وهذا الاصطفاء خلق جديد للنفس، وهو بمثابة مولد لها في هذه العوالم الحقية المنزهة في ذاتها وذوات مفرداتها عن صفة الصاحبة والولد لتكاثرها ونموها.

أما هذا الجسد الترابي فيرجع بانتهاء وظيفته من حيث أتى إلى الأرض أصلا له، بدفنه وتحلله، كما هي مناسك المسلمين لآدم الوسط، أو إلى مصدر حركته من الطاقة المحركة الحرارية بحرقه وتحوله إلى

لطيف دخاني، وبخاري، وحراري، ورد فضلته بعد ذلك إلى مصدر الحياة له من الماء بقذفه في الأنهار المقدسة، كما هي مناسك المسلمين لأوائل الأوادم.

وهذا الجسد بذاته منفصلا عن أصله من المادة أو قائما فيها، ليس له وصف الكيان الحي، سواء لبسته روح كلية، أو روح جزئية، فهو الأرض الميتة، {إنك ميت وإنهم ميتون}[1]، فهو أشبه ما يكون بالمشيمة للطفل في رحم الأم، وحكمه حكم المادة في قوانين الوجود والحياة لها...

أما النفس الأثيرية اللطيفة.. فهي صادرة عن أرض الطاقة المنطلقة من الأكبر الكوكبي، ومن احتراق الذات الترابية في انفعالاتها المعنوية والطاقة المنطلقة منها. إن النفس اللطيفة تتكون من الطاقة المنطلقة من الشمس التي اكتسبتها الأرض ثم أطلقتها متجسدة في النبات والحيوان والمعادن. إن الشمس تلعب دورا خطيرا في حياة الجنس البشري على هذه الأرض، وعلى سائر الكواكب لمجموعتها...

فعنها في قيامها تصدر الطاقة النورانية الحرارية، جماع ألوان الطيف الشمسي السبعة، متوحدة في قيامها النوراني الأبيض، مبطنة أنوارها بألوانها من الأزرق، والأحمر، والبرتقالي إلى باقي مجموعة الطيف الشمسي، مشيرة إلى وحدة عوالم النور...

أما النفس الميتة.. في ذاتها الترابية من الأرض، فهي تحمل عناصر الأرض، بأكلاسها، ومعادنها، وأتربتها، من أرض سوداء، أو صفراء، أو أرض حمراء، أو أرض صخرية، أو أرض متفتتة هشة، من أرض قابلة للزرع والضرع، أو أرض لا يصلح فيها زرع ولا ضرع. فالنفس الأثيرية، والنفس الترابية، دثاران للروح، والروح ذات شأن آخر مستقلا عنهما، وكذلك العقل بشقيه الغريزي، والكاسب لما يوهب.

إن الإنسان.. بهيكله وما يحويه في مولد الفطرة على هذه الأرض، يدخلها بمولد من أبوين عليها يمثلان عالمي خلقه من الحضرتين لمعناه، إنما هو بدء تكوين لأكوان، وقيام عالم لعوالم. وجهته إلى المطلق، وعقيدته في المطلق خلف رائد من رب رحيم، في أي صورة ما شاء ركبه المطلق. في أي صورة أراده، قديمه كان، وعليها يكون، فالإنسان مُحدثٌ قديمٍ في حاضره، وحاضرٌ لقادمٍ بقائمه، قادم من عمله (كن كيف شئت، فإني كيفما تكون أكون)[2]، {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله}[3]، {إن ابني من أهلي[4]...إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح[5]}.

فالإنسان تعبير واسع عن موجده، يشمل وجوها كثيرة، وأيدي كثيرة، وخلائق كثيرة، وحقائق كثيرة، يتواجدها بعمله أبدا، كما تواجدها بجنسه أزلا. فهو في تردد بين وجهة إلى الأزل وأخرى إلى

الأبد، حتى يتزاوج فيه الأزل والأبد بحاضر يجمعهما طرفاه له فيه، لا احتجاب له في حاضره بحقه عن أزله، أو عن أبده لقائمه. {علمت نفس ما قدمت وأخرت}[٦]، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[٧]، فالإنسان بأزليته وأبديته في التواجد، كان علما على الحق الموجود في دوام، قديما وقادما، وفي عين القيام.

إن الأرض التي تدبون عليها أرض مادية مظهرا لأرض روحية بالمقارنة بها، وإن كانت هذه مادية أيضا بمادية الروح، بمادية الأثير، بمادية الطاقة، بمادية النور. وهي أرض روحية بالمقارنة بما قبلها من التكوين الأثيري لعوالم دونها. إنها الأرض الصغرى، معنونة للكبرى، وفرعا عنها أزلا، يوم نعرف أول الحق بالروح. وهي أصل لأخرى أكبر وألطف يوم نعرف حقية الخلق بالذات. يعلوها ويسفلها من العوالم ما هي فيما بينهما، محل يقوم بها مختلف المستويات لمعارج الروح، بعوالمها لسماواتها، يوم نعرف الحق برسالاته، وأئمة الحياة في خلائقه بمن يستخلف بأسمائه الحسنى من الإنسان، يرفع طبقا فوق طبق، ويبعث طبقا بعد طبق، إلى الأعلى انطلاقا، وإلى الأدنى ظهورا وذاتا.

إن آدم أول الخلق.. وإن روح القدس أول الحق.. وإن ظاهر الغيب أول الحياة.. وإن باطن الشهادة أول الإنسان.. وإن الوجود بأحديته من هذه الحقائق في الموجود الأزلي الأبدي السرمدي أول الظهور، وأول العبور، وأول العباد.

إن أول العابدين، معنى ومثلا ضرب، كان بآدمه معنى لأول الخلائق.. وكان بروح القدس له معنى لأول الحقائق.. وباتحادهما فيه كان سفورا لأول الكلمات.. وبتمام الكلمة له وللأعلى به كان بعبوديته معنى لأول الوجود.. وكان بوجوده وجها ومعنى لأول المعبود، وكان بمعبوده معنى لأول الغيب.. وكان بمشهوده معنى لأول الحق.

إن الإنسان في معناه.. هو المراد بأول الخليقة.. وهو المراد بأول الحقيقة.. وهو المراد بأول العباد.. وهو المراد بأول الوجود.. وهو المراد بمعنى العالم والعالمين.. وبتعاليه هو المراد بالرب، وبرب العالمين.. فالإنسان هو سيد الأولين، وإمام الآخرين.. وأول العابدين دائما وأبدا.

الإنسان بوجوهه.. هو أبعاض الحقيقة.. وبذاته هو جماع الحق.. وبحضرته هو مجتمع الحقائق.. وبقدسه هو عالم الله.. وبخلوده هو عالم الرشاد.. وبحكمته هو الكتاب والإمام والعلم.. وهو بالمتخلف عن جنسه منه مظهرا لمعناه، عن قيام بمعناه، ما أريد بالإنسان في مظهر العناد، {إن الإنسان لربه لكنود}[٨]، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[٩].. هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}[١٠]، (المؤمن

مرآة المؤمن)[11]، إنه بسم الله الرحمن الرحيم إنسان، وللحق عنوان، {بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان}[12].

إن الرجل الآدم أول خليقة، والرجل الكلمة أول حقيقة. إذا قام القالب بحق خليقته، وقام القلب عليه بحق حقيقته، كانت الذات أحدية إنسان، وكانت عبدا للعنوان من الأعلى غيبا لها هي شهادة له، عنوانا وعبدا للرحمن، فكان يوما من أيام الله، وكان حقا من حقائق الله، وكان عالما من عوالم الله، وكان وجودا في وجود الله.

بهذا جاء الدين من الشرق ومن الغرب، وهذا ما تجدده رسالة الروح في هذا العصر، للقيام ولليقين، لا شرقية ولا غربية، رسالة بيان لما بين أيدينا من بلاغ، صدر عن مُبَلِّغ، في أي مكان، وفي أي زمان، وفي أي أمة، {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه}[13].

إن الذي أرسل البلاغ مع الأنبياء والمرسلين، هو الذي أرسل البيان مع كلماته من الأئمة والعارفين، وها هو يرسله اليوم وفي هذا الزمان من سموات الأرض، بأمورها من الإنسان إلى الحضرة المنشودة.. إلى الحضرة المدعوة.. إلى الحضرة المرجوة.. إلى حضرة البشرية، جنة للإنسان، لبدايات التواجد بالوجود.. أوادم خلائق، وبدايات لقلوب، بحقائق وكلمات لله من الأرض تتصاعد، والى الأرض مزرعة لإنسانية الله تعود.

توجهها سموات وجودها، بقديم حقائقها لشهودها، {وأوحى في كل سماء أمرها}[14] من الإنسان، وهيأ للسموات كلمات متصاعدة أن تعود إلى آدمها من أديم الأرض، خلائق متواجدة، طبقات متجددة، ثم أرواحا متصاعدة، يأتي القديم في أثوابه بالجديد، استكمالا لمعناه، وتحقيقا لمرتقاه، حتى يتصاعد أصعد مما صعد، وحتى يتواجد أسمى مما وجد، فما كانت السماء إلا أمس الحاضر وحقه من حيث الخليقة، وغد اليوم وتخلقه بالحق من حيث الحقيقة.

إن الخليقة بمظهرها، وما تحمل في جوهرها، هي ظاهر الحقيقة، وإن الحقيقة بجوهرها، لا تَواجد لها في ظهور إلا بمظهرها في مظاهرها باسم الخليقة، (كان الله ولا شيء معه، ثم خلق الخلق، وهو الآن على ما عليه كان)[15].

الله.. صمد في ذاته.. صمد في معناه.. فما خلا في ذاته ومعناه عن موصوف الخلق فيه، وما خلا الخلق فيه عن موصوف الحق لهم وفيهم. فالله، يوم يسفر لقائمه بقيومه، يتواجد الإنسان، بتواجد العبد، بتواجد الآدم، بتواجد الكلمة، بتواجد الحياة، يوم يعرف كائن الإنسان ما معنى الحياة.

فالإنسان.. بقائمه في مولد الفطرة يقوم في صورة لأحسن تقويم، يحتفظ بها إن شاء، ويفقدها إن فرط، ولله الحجة البالغة، مهما جادل الإنسان، ومهما عنت الإنسان، ومهما لج في خصومته لنفسه الإنسان.

ما أوجد موجد الإنسان، الإنسان لنفسه، ليُقهره، ليميته، ليعذبه، ليفنيه، ولكنه تواجده الإنسان وهو أزلي الإنسان، فقد أوجده موجدا لنفسه، موجودا بمعناه إشهارا لعلمه ومسماه به، قام عليه راعيا، وعامله غافرا، وتعامل معه منعما، وعفا عنه راحما، وأكرمه ضعيفا، وآواه يتيما، وعلمه جاهلا، وقاده حائرا، وأغناه فقيرا عائلا، وأحياه عدما، وسوده للطبيعة مسودا، وأخرجه من العدم موجودا، وجعله باسمه للكون مشهودا.

شَرَّفه وكَرَّمه مولودا، وقَدَّره وأعانه والدا، وأفاض عليه ربا، وتكفله مربوبا، وشرفه بالانتساب إليه عبدا، وحرره في وجوده روحا، وأطلقه في مطلقه سُبّوحا، وشَرفه لمعلومه ولوجهه اسما، وتعنون به رسما وكسما، فظهره له وجها من ورائه محيطا، وفعل به له يدا، واتصفه قدرة، وخلق به الوجود كلمة، وأحيا به الجماد خليقة، وجعل منه للحياة حوضا، وصدر منه للظلام نورا.

الإنسان.. عبد الإنسان. الإنسان.. رب الإنسان. الإنسان.. خليل من يعلوه، وحبيب من يسفله. الإنسان حبيب من يعلوه، وخليل من يسفله.

الإنسان.. يوم يكون إنسانا، لا يعرف عنه سِفَلا، ولا يعرف فوقه علوا، ولكنه دورة الحياة، عاليها وسافلها، وسافلها وعاليها، لا سِفل لها، ولا علو عليها، ما قامت نقطة الحياة بالحياة، لدائرة الحياة معنونة الإنسان أحد الحق، وأحد المطلق، وجه الحياة، يد القدرة، قدم المسير.

الإنسان.. يطوي سموات الوجود بين جوانحه، يوم يكون محلا لملكوت السموات والأرض وهو يتسع لله مؤمنا يتسع لربه الإنسان. والإنسان يتسربل بملكوت السموات والأرض دثارا له، هو لها نقطة الحياة، ومركز دائرة الوجود، وقبلة الشهود لدوائر الحياة، بالإنسان للإنسان، {وخلقناكم أزواجا}[١٦].

إن فقه الإنسان عن الإنسان هو فيه، وهو فيه، فيه فقه الإنسان عن نفسه. وفي فقه الإنسان عن نفسه، يقوم فقه الإنسان عن ربه. وفي فقه الإنسان عن ربه، يقوم فقه الإنسان عن إلهه. وفي فقه الإنسان عن إلهه يفقه الإنسان عن الوجود في معالم وجوده، فتبدأ معرفته عن الله هو اسم له، فتبدأ معرفته عن اللانهائي بإدراك لانهائيته فيه.

الإنسان من التقييد إلى الإطلاق يسير، والإنسان من الإطلاق بالتقييد يتواجد، والإنسان بين مثقله لذاته من وجود مقيد، ومُظله للطيفه من وجود محيط منطلق، بين يدي رحمة الله، كلمة له، ونفسا متواجدة لمعرفته، كتابها في عرفانها عنها، وفي تعريفها لها، عند معروفها منها، (لا دينونة الآن على من دخل في قلب يسوع)[١٧]، {يا أيتها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي}[١٨]. يا أيها الناس اتبعوني يحببكم الله، ويكون لكم من الله ما لي.. لا تتعجلوا العطاء، لا تتعجلوا الفتح، لا تتعجلوا الكشف، لا تتعجلوا رسالتكم، (خير الناس الأتقياء الأصفياء الأخفياء)[١٩]، فمن كتم أمره بلغ رشده، وادفنوا أنفسكم في أرض الخمول، فما نبت نبت إلا وهو مدفون.

لا تُظهروا أنفسكم بمعاني الحق لسانا وكتابا، ما لم يكن لكم بالحق يقين، وتكونوا من الحق على بصيرة، وكونوا أهل إشارة ولا تكونوا أهل عبارة، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله، على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٢٠]، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٢١]، {فصل لربك وانحر}[٢٢]، فأنت بعث الصالحين، وأنت بعث المرسلين، وأنت طابع النبيين، وأنت المثل الأعلى للمتقين، وأنت أول العابدين، وأنت تمام كلمة ربك للعارفين، وأنت يد الله للكاشفين، ووجه الله للمبصرين، {قل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا}[٢٣]، (من رآني فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي)[٢٤].

إن الشيطان لا يرى فيَّ المثل الأعلى له، وأنا المثل الأعلى لكم، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض، (وقد أخفى الله الولي في الخلق)[٢٥]، و (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)[٢٦]، {فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى}[٢٧].

وبالمثل الأعلى يأتي الحق، ولا مجيء للحق إلا بالمثل الأعلى، إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا، جعل منه المثل الأعلى، أحصاهم وعدهم عدًّا، متوحدين معه، كلهم آتيه يوم القيامة فردا، {إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[٢٨]، هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}[٢٩]، {إنك لتهدي إلى صراط مستقيم}[٣٠].

إن الصراط المستقيم، ليس هو الكتب السماوية، ليس القرآن صراطا مستقيما، وليس الإنجيل صراطا مستقيما، وليست التوراة صراطا مستقيما، فهذه كتب من ألفاظ، يهدي بها كثيرا، كما يضل بها كثيرا، ويقتصر هديها على التعريف بضرورة الرائد، ولكن الصراط المستقيم هو من جاء بهذه الكتب، من جاءوا بها وهم قيامها وقيوميتها حية. إن موسى كان الصراط المستقيم، لا توراته.. وإن عيسى كان الصراط المستقيم، لا إنجيله ولا أناجيله.. وإن محمدا كان الصراط المستقيم، لا قرآنه ولا أثره، يقوم ويتقلب في الساجدين، يدعو على بصيرة بأصله وصوره وظلالهم صراطا مستقيما لا يغيب، يتلو ويبين على مكث.

(يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[٣١]، صراطا مستقيما يقوم، وعلما على الله يُعلَم، {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}[٣٢]، {أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}[٣٣]، وإن لنا في مجيئنا إلى الأرض دورة متصلة بكلماتنا عليها لأهلها رواسي الأرض، كما أن لنا دورة ظهور، دورة نشور، دورة فصل لدورات البلاغ، ودورات الهدي، دورة دور يذكر فيها اسم الله، دورة دور لله لا تعد ولا تحصى، {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا}[٣٤]، وليس آخر بيت يوضع للناس، وما كان محمد بدعا من الرسل، ولا بدعا من العباد، ولكنه كان دورة الرشاد، وخصيم العناد، وهاشم الباطل، وبناء الحق، (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[٣٥]، (بعثت والساعة كهاتين وما سبقتها إلا كما سبقت هذه هذه)[٣٦]، (هو الذي يبقى معكم إلى يوم القيامة)[٣٧].

رب البيت.. وعين البيت.. وأهل البيت.. هذا ثالوث الحق في أحدية حق الرسول، وآدمية خلقه حقا من الله، عنونه البيت من المادة والطبيعة، على ما تشهدون وتستقبلون، عنوانا لأبدانكم على ما تتواجدون. ورب البيت ما عرفه غير ربه، روح قدس في ذات، إشارة إلى أرواحكم لأبدانكم، وهكذا أنتم، هم من هو أقرب إليكم من حبل الوريد باسمكم (اللهم)، ولا تقدرون ولا تعرفون.

أنتم أهل بيوتكم من أبدانكم بأرواحكم من أصولكم. أنتم معنى الحياة فيكم، أنفسكم له لا تُعَبِّدون، وإن أنفسكم لله ربا لكم ولبيوتكم وأهلها عَبّدتم ظهر بكم فكنتم به الظاهرين، كلمات لله من رب العالمين، يشهدها المتقون، ويطلبها العاشقون، ويخاللها العارفون.

ضُرب ابن مريم مثلا لها عترة للأمين، فإذا قومه عنها يصدون، وما ضُرب ابن مريم مثلا إلا لذاته، ولأهل بيته، ولمن طهر الله من أهل بيته، (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)[٣٨]، {قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا}[٣٩]، {ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا}[٤٠]، {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا}[٤١].

وقد وَفَّت أمته لأهل بيته على منابرهم حقهم من الكنود، ونصيبها من الجحود، وفي مقابرهم نصيبها من عقيدتها فيهم على ما تشهدون بين مستغل خادع، ومتاجر مخادع، وضال ناصب، ومخاصم غاضب.

فآوتهم في مقابرهم مذكورين، وأخرجتهم من مآمنهم مغلوبين، ورفضتهم بينها بالحق ساعين، وبالصدق ناطقين، وبيد النجدة منقذين.. ثم قبرتهم تحت الثرى مدحورين، وعبدتهم تراب اللاهوت مكرمين،

فشيدت المقابر، وأعلت وزينت الهياكل والمنابر. وما كانوا إلى الأرض متثاقلين، كلمات لله متصاعدين، للرفيق الأعلى طالبين، وعترة لرسوله مغفورين.

هذا هو أمر الدنيا على ما تقومون، وهذا هو أمر الدين على ما تشهدون، وها هي آيات الله، وإرهاصات الأمر المبين، تتوالى للمدركين، لا يلتفت إليها الغافلون، إنذارا بانقضاء يوم للدين، وبشرى بمقدم يوم لليقين من أيام الله بالعارفين، برسالات الله تجمعها رسالة الروح الأمين بالعلم المبين، بساعات الله للمباغتين، بعباد الله للصادقين، بحقائق الله للعالمين، ببيوت الله للمتعطشين ، بيوتا يذكر فيها اسمه للمقربين، بين مرفوعة، وموضوعة للمهتدين، مدائن علم للطالبين، ولا إله الا الله سبحانه عما يصفون وتعالى عما يشركون، إنه على كل شيء قدير، وبكل فضل جدير، وبكل شيء مبين، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، لا يشهدها إلا الصالحون، ولا يقومها إلا الوارثون، ولا يرد ماءها إلا المتقون، ولا يطلبها إلا العالمون، ولا يخاصمها إلا الجاهلون.

اللهم يا من جعلت من الساعات بدايات برحمة، ونهايات بقضاء.. اللهم يا من جعلت من الحقائق بعبادك أيام اجتماع عليك، وجمع بيديك لخلقك، حصاد فعلك.. اللهم يا من جعلت من رسولك دورة الساعات، ودورة الأيام، ودورة الحقائق، ودورة الخلائق، ودورة الوجود بالموجودات، ياقوتة أحدية ذاتك الصمدية، وعين مظهر صفاتك الأزلية.. اللهم عليه فاجمعنا وبه فارحمنا.

تنزلت علوم آدم به فيه عليه، فأودعت فيه من السر ما عجز كل عقل عن إدراكه، وجعلت منه شهادة الحق، كما جعلت فيه عظمة الخلق، إذ جعلت الحق غيب شهادته حقا بخلقه، وجعلت مُشَاهِدَه بالحق في حضرة حقيقته للحق بباطنه من الخلق. وجعلت ذاته من الخلق باب حضرتك بالحق، فيسرت الأمر على يديه لطالبك في نفسه بوحدانتيك، وخاطبت به الناس على قدر عقولهم.

اللهم فدركنا أمرك به فينا، في قائم أمرنا، بقيوم أمرك به علينا رحمة منك.. اللهم اجمعنا عليه في شهادته وغيبه.. اللهم وحد بيننا وبينه في رحمة واحديتك به وأحديتك له، حتى ندخل في حصن لا إله إلا الله، في دخولنا فيه مدخلا عليك، لا ينتهي المرتقى إليك، ولا تتوقف النعماء والعطاء منك، ولا تجز منتك، ولا تنتهي في الجديد لك طلعتك، لا إله غيرك، ولا معبود سواك، الحق منك، والحق بك، والحق إليك.

اللهم به فقوم سبيلنا.. اللهم به فأصلح أمرنا، حكاما ومحكومين، يقظين وغافلين، مجتهدين ومتابعين، روادا ومرودين، أئمة ومأمومين، يا من جعلت منه رحمتك، به ارحمنا، وارحم بنا، به أكرمنا، وأكرم بنا، به حققنا، وحقق بنا.. اللهم وقد جعلت منه رسالتك، دائمة قائمة، لا ينطفي لها نور. ولا تخبو لها

جذوة، ولا يلتوي لها طريق.. اللهم اجعلنا في رسالته ومن أهلها، وأقمنا برسالته، وقَوِمنا أهلها، دين القيمة، وقنا شرور أنفسنا، وشرور المستغلين لدينك، وشرور الطاغين المستهترين بيقين قيامك وتقويمك. وأتمم علينا نعمتك بشهود لا إله إلا الله، وقيام محمد رسول الله.

أضواء على الطريق

(لقد قادتني خبرتي الخاصة إلى معرفة أن الحياة المكتملة غير ممكنة دون إيمان لا يتزعزع بناموس حي، تتحرك الكائنات كلها وفق مشيئته. أما الإنسان الذي يخلو من هذا الإيمان فمثله مثل قطرة متناثرة من المحيط مآلها الهلاك والتلاشي. إن كل قطرة في المحيط تشترك في جلال وفي شرف أنها تمدنا بنسمة الحياة.

إن الله هو ذلك الذي يجل عن الوصف، ويسمو عن التحديد، والذي لا نعرفه ولكننا نحس ونشعر به. إن الله في نظري هو الحق والحب، إنه الأخلاق والورع.

الله هو التطهر من الخوف، وهو ينبوع الضياء والحياة، ومع ذلك فهو فوق وأبعد من أن يحدد بهذا.

الله هو الضمير.. بل حتى هو الإلحاد في الملحد.. إنه يسمو على الكلام والمنطق. إنه إله مادي لأولئك الذين يحتاجون إحسانه، ولكنه الجوهر الصافي.. إنه (هو) مجرد هو لأولئك الذين يؤمنون.

إنه المشقة الطويلة، إنه صبور ولكنه رهيب، إنه أعظم ديمقراطي يعرفه العالم، نحن عدم وفناء ووحده هو الموجود الحي الباقي. إنني لا أعتبر الله شخصا. إن الحق في نظري هو الله، وإن ناموس الله والله ليسا بشيئين مختلفين، أو بحقيقتين متباينتين مثلما يختلف العاهل (الملك) الأرضي عن قانونه.) (تولستوي)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الزمر - ٣٠

٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣ سورة الإنسان - ٣٠

٤ سورة هود - ٤٥

٥ سورة هود -٤٦

٦ سورة الانفطار - ٥

٧ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدَّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.

٨ سورة العاديات - ٦

٩ سورة آل عمران – ٦٤

١٠ سورة الفرقان – ٥٩

١١ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

١٢ سورة الحجرات -١١

١٣ سورة القيامة - ١٩:١٨

١٤ سورة فصلت - ١٢

١٥ حديث شريف: "كان اللهُ ولا شيءَ معه، وهو الآن على ما عليهِ كانَ". المحدث: ابن تيمية، المصدر: مجموع الفتاوى. أخرجه البخاري رحمه الله في كتاب بدء الخلق بلفظ: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض."

١٦ سورة النبأ - ٨

١٧ "إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ، بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ." (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٨: ١).

١٨ سورة الفجر – ٢٧, ٢٩, ٣٠.

١٩ من الحديث الشريف: "إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة." رواه ابن ماجه

٢٠ سورة يوسف - ١٠٨

٢١ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

٢٢ سورة الكوثر – ٢

٢٣ سورة الإسراء - ٨١

٢٤ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآني فقَدْ رَأى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُني." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٢٥ مقولة للإمام عليّ (عليه السلام): إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئا من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن شيئا من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عباده، فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم.. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

٢٦ من حديث شريف: " رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، ذِي طِمْرَيْنِ، تَنْبُو عنه أَعْيُنُ الناسِ، لو أَقْسَمَ على اللهِ لَأَبَرَّهُ". خرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.

٢٧ سورة النجم - ٣٢

٢٨ سورة سبأ - ٤٦

٢٩ سورة الفرقان – ٥٩

٣٠ سورة الشورى - ٥٢

٣١ من الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

٣٢ سورة الفرقان - ٦٣

٣٣ سورة الرعد - ٤١

٣٤ سورة آل عمران - ٩٦

٣٥ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٣٦ حديث شريف: (بعثت أنا والساعة كهاتين) - وأشار بالسبابة والوسطى. صحيح البخاري. وفي سياق آخر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بعثت مع الساعة كهاتين وأشار بأصبعيه الوسطى والسبابة كفضل هذه على هذه.)

٣٧ استلهاما من الآيات: "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ" (إنجيل يوحنا ١٤:١٦-١٨).

٣٨ إشارة إلى الحديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرك.

٣٩ سورة الشورى - ٢٣

٤٠ سورة الإنسان - ٨:٩

٤١ سورة الأحزاب - ٣٣